مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2021 المجلد: 04 العدد: 01 ص.ص: 424-439

الدلالة النفسية للألفاظ اللغوية في الخطاب القرآني

–حسنُ القول وسيئهُ أنموذجا–

The psychological meaning of the linguistic expressions in the Quranic discourse - The Good and Bad Words- As a model

سليم مزهود، المركز الجامعي ميلة (الجزائر) s.mezhoud@centre-univ-mila.dz

تاريخ إرسال المقال: 09-01-2021 تاريخ قبول المقال: 19-03-2021

الملخص:

يمزج التعبير اللغوي في الخطاب القرآني بين القلب والعقل، ويراعي القواعدَ النفسية على اختلاف الزمان والمكان، لكون النفس جوهرا أصيلا أبلغ أهميةً من الجسم. فاللغة تخاطب النفس وتعبر عن أحوالها الشعورية، والتعبير الواضح الجميل هو من خصائص النفس الراقية. ولذلك فقد بين القرآن الكريم أن دور اللسان يكمن في البيان، فنهاه عن آفات اللسان نحو الكذب والغيبة، والنميمة، وشهادة الزور، ودعاه إلى استعمال الألفاظ الأكثر سدادًا وحسنا في التعبير اللغوي.

الكلمات المفتاحية: دلالة نفسية، الخطاب القرآني، حسن القول، سوء القول

Abstract:

In the Quranic discourse, the linguistic expression mixes between the heart and the mind. It also takes into account the psychological bases in different places and times given the fact that the soul is inherently a precious thing more important than the body. The language addresses the soul and its emotional display it, That is why Quran asked the human to use the beautiful language in linguistic expression; and steer clear of tongue lesions such as lying, backbiting, gossiping and perjury.

Key words : Psychological meaning, Quranic discourse, Good Words, Bad Words.

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2021 المجلد: 04 العدد: 01 ص.ص: 424-439

الدلالة النفسية للألفاظ اللغوية في الخطاب القرآني –حسنُ القول وسيئهُ أنموذجا–

مقدمة:

يربط التعبير اللغوي في الخطاب القرآني بين القلب والعقل، والروح والفكر، ويراعي في ذلك الربطِ القواعدَ النفسية على اختلاف الزمان والمكان، إذْ إنَّ الخطاب القرآني يتوجه إلى العقل ثم يتغلغل في النفس ويستقر فيها، قاصدا العمل على جذْبها إلى عمل الخير، وتنفيرها من عمل الشر والسوء، ضمن دلالة نفسية تحملها ألفاظه وعباراتُه الكريمة، إذ إنّ الدلالة النفسية هي أحد أهم المعاني التي تصحب عملية الكلام.

إن الأسئلة التي يقتضيها هذا المقال، تتمحور حول الدلالة النفسية للتعبير اللغوي في القرآن الكريم، فما هو مفهوم النفس؟ وفيمَ تكمن علاقة اللغة بها وبخاصة في الجانب الشعوري؟ وما قيمةُ اختيار اللفظ الحسن وتجنب اللفظ السيّئ في توازن الشخصية الإنسانية ورقيها؟

ويقتضي فهمُ هذه الدلالة النفسية بالإجابة عن الإشكال المطروح، تتبعَ المنهج الوصفي.

المبحث الأول: مفهوم الدلالة النفسية

إن القواعد النفسية الفعالة في أي خطاب لغوي، تقتضي خطاب العقل والقلب في آن واحد وعدم الفصل بينهما، حتى يتغلغل فحوى الخطاب في عمق النفس ويتجذر، فيصير راغبا نحو ما يدعو إليه الخطاب، ونافرا عن كل ما ينهى عنه، وهذا ما كان يقدمه الخطاب القرآني في دعوته إلى الكلام الطيب، ونهيه عن الكلام الخبيث السيء، إذ تمدّ الدلالة النفسية الإيجابية حافزا لدى المتلقي وتمنحه طاقة ونشاطا فيه الكثير من اللطف الذي يجعله غير ضَجِرٍ من مواصلة العمل، فهي تحفزُ وجدانَه لقبول الألفاظ أو الاستماع إليها، لكن الدلالة النفسية السلبية تحبط الملتقي، وتُشْعِرُهُ بالضَّنَكِ والقلق والاضطراب، ولعلّ أيَّ إنسان مهما كانت درجة فهمه وعلمه يدرك هذا الأمر، فحين يسمع كلمة طيبة، ينشرح صدره بها، وحين يسمع سَبّا وشتما أو إهانة يضيق صدره، إلا في بعض السياقات الخاصة التي يتقبلها الملتقي بقصد معين.

ومن هنا نتساءل عن ماهية النفس المتأثرة إيجابا أو سلبا بالكلمات التي تسمعها وتلقى على آذانها.

المطلب الأول: تعريف كلمة (نفس) لغة

"النون والفاء والسين" أصل واحد يدل على خروج النسيم كيفما كان من ريح أو غيرها، وهو من التنفس، وسميت نفسًا لتولد النفس منها واتصاله بها، والفعل هو نَفَّسَ ومصدره تَنْفيسًا، ونَفَسا عنه؛ أي: فَرَّجَ عَنْه، وأنْفَسه الشَّيء: أعْجَبه وصارَ عِنْده نَفِيسًا، والنَّفْس: الرُّوح، والنَّفْس: العَيْن، يقال: خَرَجَت نَفْسُه؛ أي: روحه، ويقال: أصابته نَفْس؛ أي: عَيْن، والنَّفْس مؤنث إنْ أريد بها الروح، نحو قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ (الزمر.6)، وإن أريد بها الشخص فمذكر، يقال: عندي خمسة عَشَرَ

نَفْسًا[1]، ويراد بالنَّفْس: الشَّخص والإنسان بجملته، والنَّفس أيضا: العِنْد، كما في قوله تعالى: ﴿وإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلاَ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلاَّمُ الْغُيُوبِ﴾ (المائدة.116) أيّ: ما عندي وما عندك[2].

وجاء في لسان العرب تعريف النَّفْس على أنها "العَظَمَة، والكِبر، والنَّفْس هي الهِمَّة والنَّفْس هي العِزَّة، والنَّفْس هي عَيْنُ الشَّيْءِ، وكُنْهُه..." [3]

المطلب الثاني: تعريف (النفس) اصطلاحا

عرف العلماء النفسَ اصطلاحا، واهتموا ببيانها، وإظهار معانيها، إذ اعتبر أبو حامد الغزالي (1058–1111م) معرفة النفس علوية، إذ إنها اللطيفة التي هي الإنسان بالحقيقة، وهي نفس الإنسان وذاته[4]

وعرفها الشريف الجرجاني (1339–1413م) بقوله إن النفس "هي الجوهر البخاري اللطيف، الحاصل لقوة الحياة والحس والحركة الإدارية، وسميت بالروح الحيواني"[5]

وقال ابن حجر (773–852هـ): "إن الأقوال في تعريف النفس كثيرة، فقد قيل هي النفس الداخل والخارج، وقيل الحياة وقيل جسم لطيف يحل في جميع البدن، وقيل هي الدم، وقيل هي عرض، حتى قيل إن الأقوال فيها بلغت مائة ... وقال ابن العربي اختلفوا في الروح والنفس فقيل متغايران؛ وهو الحق، وقيل هما شيء واحد، وقد يعبر بالروح عن النفس وبالعكس، كما يعبر عن الروح وعن النفس بالقلب وبالعكس، وقد يعبر عن الروح بالحياة، حتى يتعدى ذلك إلى غير العقلاء بل إلى الجماد مجازا"[6]

وعرفها الآلوسي (1803–1854م) بقوله إنها "الجوهر المتعلق بالبدن تعلق التدبير والتصريف، أو الجسم النوراني الخفيف الحي المتحرك النافذ في الأعضاء، الساري فيها، سريان ماء الورد في الورد"[7]

المبحث الثاني علاقة التعبير اللغوي بالعقل والنفس:

إن الألفاظ هي رموز تعبر عن المعاني الكامنة في النفس، وهي ضرورية للتقدم العقلي، لأنها هي التي تثبت كل خطوة يخطوها الذهن البشري، فالألفاظ حصون الفكر، ولا وجود للفكر دون لغة[8].

إن التعبير عن أية فكرة لا يخلو مطلقا من لون عاطفي، إلا إذا استثنينا التفكير العلمي أو اللغة العلمية، التي يجب أن تكون معبرة عن الفكرة المحضة والحقيقة المجردة الخالية من الانفعالات النفسية[9]

يرى فندريس Joseph Vendryes (1875–1960م) أن التعبير عن الأفكار ملازم للانفعال، حيث يقول: "فمن النادر جدا عندما تتسابق في ذهننا –ونحن بصدد التعبير عن فكرة ما– عدة عبارات مختلفة، أنْ تكون إحدى هذه العبارات عقلية محضة، وأنْ تعبّر عن استدلال منطقي بحت، أو أنْ تصور حقيقة أو حادثا ما، في بساطته العارية من كل لبس، فإنني أرى حادثا يقع أمامي، فأصبح راثيا لحال صاحبه: آه

المسكين!، وأقابل صديقا لم أكنْ أتوقع لقاءه، فأقول له: أنت هنا!، فهذه الجمل ذات قيمة انفعالية.. فإذا صيغت في لغة المنطق الجدلية، صارت: أرثي لهذا المسكين، أو: يدهشني أن أراك هنا... ورغم ذلك فكل محاولة للتخلص من إظهار العاطفة بالتزام المنطق، ليست في الحقيقة إلا إظهارا للعاطفة[10]

إن الكلمات التي تصدر عنّا وتظهر على ألسنتنا إنّما هي وسائل للتعبير عما في نفوسنا ومشاعرنا، إذ إنَّ الأصل في وضع الألفاظ هو أن تكون كذلك فالعلاقة صوتية دالة على معقول أو متصور[11]

ويشترك في هذا المعنى المتصور المتكلّم والمخاطب كلاهُما، إذ إنه ضروري، وإلاّ لَمَا أمْكَنَ التفاهم بين الناس، وعلى الرغم من أنّ هذا الأمر من البديهيات التي يُسلّم بها، إلاّ أنّ جمهرة من علماء الغرب المحدثين قد تناولوه بالتفصيل في كتاباتهم، ومن هؤلاء عالم اللغة الروسي الشهير ليف سيمنوفيت " Lev Semnovich.V" في كتاب الفكر واللغة "Thought and Languge" وقد ترجم إلى الإنجليزية عام 1962م، واللغوي الأمريكي بنيامين لي وورف "Benymn L. Whorf" واللغوي فردينان برينو "Brunot.Ferdinand" في كتابه: تاريخ اللغة الفرنسية "Histoire de la langue francaise" والفيلسوف البريطاني برتراند راسل "Bettrand Rusell" في كتابه الأكاديمي: دراسة في المعنى والحق "An Inquiry into Meaning and truth"[12]

إنّ الذين اهتموا بالعلاقة بين اللغة والفكر ليسوا هم فقط علماء النفس في العصر الحديث– كما هو شائع– فقد تحدث عنها الفلاسفة القدماء وعلماء اللغة العرب، ويؤكد هذا كونهم اشتقوا لفظ "المنطق" الذي يعني قوانين الفكر من "النطق"، وفي هذا إشارة إلى ما بين اللفظ والفكر من صلات، كما أننا نجد إشارات متناثرة بين كلام العلماء تشير إلى وعيهم بهذه المسألة، كون اللغة مكتسبة ولها تعلق بتفكير الإنسان، يقول ابن فارس (306–395هـ): "تؤخذ اللغة اعتيادًا كالصبي العربي يسمع من أبويه وغيرهما، فهو يأخذ اللغة عنهم على مرّ الأوقات، وتؤخذ تلقنًا من مُلَقِّن، وتؤخذ سماعا من الرواة

وقد أشار ابن جني (322–382هـ) إلى هذه المسألة في أكثر من موضوع فهو يعرّف اللغة بأنّها: "أصوات يعبّر بها قوم عن أغراضهم"[13]

وهكذا نجد أنّ موضوع علاقة اللغة بالفكر موضوع قد شغل الدارسين قديما وحديثا[14]، ولم ينحصر عند علماء النفس في العصر الحديث فقط، أمّا السبب في عناية علماء النفس بهذا الموضوع فعائد إلى أنّ كونهم يعدّون اللغة أحدَ مظاهر السلوك الإنساني.

ولا يخفى أنّ السلوك اللغوي هو أحد أهمّ جوانب الالتقاء بين علم النفس وعلم اللغة، ويطلق على العلم الذي يهتم بالجوانب النفسية في اللغة الأسماء الآتية[15] :

– علم اللغة النفسي "Psycholinguistics"

– علم نفس اللغة "Psychology of language"

– علم النفس اللغوي "Linguistics psychology"

وعلم النفس اللغوي يهدف إلى تفسير بعض الظواهر النفسية في ضوء الدراسات اللغوية، ومن أوضح الأمثلة على ذلك ما حاول تفسيرَه دي سوسير Ferdinand de Saussure (1857–1913م) بالنسبة إلى لغة الكبار، وليفي بريل Lucien Lévy-Bruhl (1857–1939م) بالنسبة للجماعات البدائية، وبياجيه Jean Piaget (1896–1980م) بالنسبة إلى لغة الأطفال[16].

فاللغة وسيلة للتعبير عن المشاعر والأحاسيس الإنسانية المختلفة، ويكون استعمال اللغة في أغلب الحالات عبارة عن التنفيس عمّا في داخل الإنسان بغض النظر عمّا إذا كان هناك من يسمع ذلك الكلام أم لا، وربّما كان من طريف ما يذكر أنّ اللغة –كما أنّها تستخدم لإبراز ما في النفوس والتعبير عن الأفكار– هي كذلك تستخدم لإخفاء الفكر والمشاعر في بعض الأحيان، كما في لغة السياسيين، أو من يخرجون على القانون، أو غير ذلك[17]

إذ إنّ للغة قصورا في التعبير نتيجة قصور الفكر في الإدراك، فلو كان القصور في التعبير نتاجا عن اللغة لجاء الصمت خير حلّ لهذا الصراع المؤلم بين قوة الوجدان وفعل اللغة، ولكنه ما من أحد يسلّم بأنّ الصمت يحل المعضلة.

ليست شيئا جامدا إنّها مستودع أكبر، وقد تصبح قيدا لأفكار الإنسان وليست فضاء حرا يسهل عليه اختراقه، وقد تصبح سببَ وجودِ عقد نفسية مخرّبة لكيانه المعنوي [18]

المبحث الثالث: التعبير اللغوي النفسي في الخطاب القرآني وأبرز خصائصه

إن التعبير اللغوي هو أسمى أنواع التعبير، وأوضحها في الدلالة على المراد وأيسرها على المعبّرين، وهو الأصل في الإبانة والكشف، وبه تتفاوت الدلالات في القوة والضعف، والغموض والوضوح، وبه تظهر الميزة بين قول وقول، ومعنى ومعنى، وهو أقدرها على تصوير المعاني الدقيقة ونقلها إلى السامعين.. وهو الذي يميّز الإنسان بأسلوبه الراقي مما سواه من كائنات لها القدرة على أن تطلق أصواتا.

ومن هنا استساغ أهل المنطق أنْ يعرّفوا الإنسان بأنه حيوان ناطق، ويريدون بالنطق التفكير، وهو لا يكون إلا من خلال عبارات تكوّنه وتظهره. وقد فرَّق المشتغلون بالدراسات اللغوية بين التعبير عند الإنسان والتعبير عند الحيوان، بأنّ اللغة عند الإنسان ذات مقاطع صالحة للدخول في تراكيب تدلّ دلالة واضحة على معان كلية. أما لغة الحيوان فهي لغة انفعالية غريزية تتكون من أصوات طولية مصحوبة بحركات تدل على معان مبهمة لا تتضح إلاّ بالتكرار، وهي غير صالحة للدخول في تراكيب تدل على معان كلية واضحة.

فالتعبير الواضح الجميل هو من خصائص الإنسان الراقي، ولعل الآية الكريمة: ﴿عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ (الرحمن.04) تدلّ على هذا المعنى، وأبرز خصائص التعبير القرآني نوردها في ما يأتي:

المطلب الأول: الخطاب القرآني نصّ لغويّ

يعدّ الخطاب القرآني نصا لغويا منسوجا من جنس لسان العرب، مؤلّفا من جمل مترابطة تشكّل عناصر ذات دلالات خاصّة بها، وتتضافر هذه العناصر لتؤلّف كلاما يفيد قصدا دلاليا معينا.

وهذه قاعدة ثقافية ثابتة لفهم النص القرآني، واقتضت هذه القاعدة من علماء التفسير الوقوف عند ظاهر اللّفظ باعتباره أساسا لفهم المعنى، ولم يُلتفَت إلى الجوانب التّاريخيّة أو النّفسيّة أو الثّقافيّة إلا في إطار ضيّق وبحذر شديد خشية الوقوع في محظور التفسير بالرأي، وتبيّن أنّ للنّصّ القرآني ثابتا يُلتزَم بالوقوف عنده، ومتغيرا يكون عُرضة للاجتهاد والتأويل والفهم المجازي، ولا يجوز أن يحوَّلَ النصّ القرآني إلى ميدان للفهم الظّاهريّ الحرفيّ مطلقا، ولا للفهم الباطنيّ فقط.

إن في النص القرآني ظاهرا وباطنا، يؤخذان دون إهمال أحدهما، وفق مراعاة دلالات الألفاظ في عهد نزول القرآن، ومنهجه وأسلوبه في الخطاب الموجه إلى الناس حتى يفهموه، ولطالما كانت الأحاديث النبوية الشريفة المتفق عليها شارحة لكثير من آياته، فيجب الاحتكام إليها هي الأخرى، ما دامت توفق ما جاء في القرآن من المعاني والأحكام، فهي تفسر القرآن، وتبينه وتوضحه معانيه.

المطلب الثاني: أهمية اللسان في الخطاب القرآني:

اكتسب اللّسان أهميّةً بالغةً في الخطاب القرآني، باعتباره ترجمان القلب والعقل، ومفتاح شخصيّة الإنسان.

إنّ ما يرتسم على صفحات الرّوح والنّفس، يظهر قبل كلّ شيء على فَلَتات اللّسان، وفي هذا يقول الله تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾ (محمد.30).

ولهذا فإنّ علماءَ الأخلاق والفقهاءَ والبلاغيين قد تحدثوا عن أهمية حفظ اللسان وإصلاحه، واعتبروه أهم مؤثر في الجانب الروحي والأخلاقي، يقول رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم: **(لا يَسْتَقِيمُ إِيمانُ عَبد حَتّىْ يَسْتَقِيمَ قَلْبُهَ ولا يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ حَتّى يَستَقِيمَ لِسانُهُ** [19]

ويقول علي بن أبي طالب كرّم الله وجهه: (تَكَلَّمُوا تُعرَفُوا فإنّ المَرءَ مَخبُوءٌ تَحتَ لِسانِه)[20]

وبيّن القرآن الكريم أن اللسان نعمة من نعم الله على عباده، وجعل معه الشفتين، فإن أطبقتا لم يستطع اللسان الكلام، يقول تعالى: ﴿**أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ. وَلِساناً وَشَفَتَيْنِ. وَهَدَيْناهُ النَّجْدَيْنِ**﴾ (البَلد.8-10)

والشّفتان هما أفضل وسيلة للسّيطرة على اللّسان، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله يقول في حديث قدسي: **(يا ابنَ آدَمَ إِنْ نازَعكَ لِسانُكَ فِي ما حَرَّمَتُ عَلَيكَ فَقَدْ أَعَنْتُكَ بِطَبَقَتَيْنِ فأطْبِق)**[21]

مجلة طبنـــة للدراسات العلمية الأكاديمية ISSN 2661-7633 / EISSN 2716-8883

السنة: 2021 المجلد: 04 العدد: 01 ص.ص: 424-439

إذ يبين الخطاب القرآني أن اللسان قد خلق من أجل البيان، وليس عبثا، يقول سبحانه: ﴿**الرَّحْمَنُ.عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾ (الرّحمن.1–4)

ونعلم أن للبيان دورا كبيرا في رقيّ الإنسان وفاعليته في بناء الحضارة الإنسانية وتحقيق التواصل بين الأمة الواحدة، والمجتمعات المختلفة والأجيال المتعاقبة.

ثم إنّ جمال الإنسان يظهر بشكل مؤثر مبهر في جمال لسانه، يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الجمالُ في اللسان) [22]

ويقول علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: (إنّ فِي الإنسانِ عَشَرَ خِصَال يُظْهِرُها لِسانُهُ، شاهِدٌ يُخْبِرُ عَنِ الضَّميرِ، وَحاكِمٌ يَفْصِلُ بَينَ الخِطابِ، وَناطِقٌ يَرُدُّ بِهِ الجَوابَ وَشافِعٌ يُدْرِكُ بِهِ الحاجَةَ، وَواصِفٌ يَعْرِفُ بِهِ الأشياءَ، وَأَمِيرٌ يأمُرُ بِالحَسَنِ وَوَاعِظٌ يَنهى عَنِ القَبِيحِ، وَمُعَزٍّ تَسْكُنُ بِهِ الأحزانُ، وَحاضِرٌ (حامِدٌ) تُجْلى بِهِ الضَّغائِنُ وَمُونِقٌ تَلَذُّ بِهِ الأَسماعُ)[23]

المطلب الثالث: أبرز آفات اللسان في الخطاب القرآني

الآفة هي كلّ ما يُصيب أصل الشيء فيُفسدُه، من جائحة أو مرض أو عاهة أو قحط وغير ذلك. وقد أولى الخطاب القرآني عنايةً كبيرةً باللسان؛ لأنّه ذو شأن خطير، فنهى عن آفات اللسان؛ إذ إنّها من أهم عوامل الفساد التي تهدد أخلاقه وإنسانيته، وأهم هذه الآفات الواردة في الخطاب القرآني هي:

1–الكذب:

يعد الكذب أخطر آفات اللسان، وأخطر أنواعه هو الكذب على الله، حيث يقول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ (الزمر.60)

2–الغيبة:

الغيبة هي أن يذكر الإنسان أخاه بما يكره، يقول تعالى: ﴿وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ (الحجرات.12)

3–شهادة الزور:

نهى الخطاب القرآني عن شهادة الزور، إذ يقول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَاماً﴾ (الفرقان.72)

4–السخرية والشتم:

نهى الخطاب القرآني عن السب والشتم والسخرية من الآخرين مهما كان الاختلاف معهم، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْراً مِّنْهُمْ وَلَا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن

يَكُنَّ خَيْراً مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الِاسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ (الحجرات.11)

5–الخوض بالكلام في ما لا يرضي الله:

هو الكلام الفاحش أو ما فيه أذى للناس، أو ما فيه سخرية بالدين وبالآخرين من لمز وهمز وما إلى ذلك، يقول تعالى: ﴿وكنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾ (المدثر.45)، ويقول سبحانه: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾ (الإسراء.36)، ويقول عز وجل: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلاَ تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام.68)

6–التناجي بالإثم:

هو الإخبار بهمس وتستر في القول بالإثم والسوء والسخرية ونحو ذلك، يقول الله تعالى:﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ (المجادلة. 9)، ويقول سبحانه: ﴿لاَّ خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلاَّ مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاَحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتَغَاء مَرْضَاتِ اللّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً﴾ (النساء.114)

7–النميمة:

ينهى الخطاب القرآني عن النميمة؛ وهي أن توصل كلام السوء الذي قيل بنية الإفساد لا بنية التحذير، يقول تعالى: ﴿ولا تُطِعْ كُلَّ حَلاَّفٍ مَّهِينٍ. همّازٍ مَّشَّاء بِنَمِيمٍ﴾ (القلم.10–11)

ثانيا: النهي عن الألفاظ السلبية:

نهى الخطاب القرآني المؤمنين والناس جميعهم عن القول البذيء والفاحش وكل قول دال على الكفر أو الشرك، أو فيه كذب ونفاق، ومن ذلك ما تعلق بالله تعالى ودينه، وبأعراض الناس كلهم، وبالوالدين، وبالنساء، وبالمؤمنين والمؤمنات.

1– عن الله عز وجل ودينه وفضله وآياته (مما يدل على كفر وشرك أو سخرية):

نهى الخطاب القرآني عن جملة من الألفاظ التي عدّها من باب الشرك والكفر تلك التي تعبر صراحة عن عدم التصديق بدين الله تعالى، والإساءة إلى حضرته سبحانه، والقول عنه بما لم يقله أو ما ليس منه، أو ما ليس للقائل فيه أدنى علم، ومن جملة هذه الألفاظ ما يأتي:

أ– (ما لا علم للإنسان فيه):

إذ يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ بِالسُّوءِ وَالْفَحْشَاء وَأَن تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُون﴾ (البقرة.الآية:169)، ويقول سبحانه: ﴿وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون﴾ (الأعراف.الآية:33)

ب– (من عند الله):

إذ يقول تعالى: ﴿إِنْ تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَذِهِ مِنْ عِندِكَ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ اللَّهِ فَمَا لِهَؤُلاء الْقَوْمِ لاَ يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ حَدِيثًا﴾ (النساء.الآية:78)

ج– (اتخذ الله –سبحانه– ولدا):

إذ يقول تعالى: ﴿يا أَهْلَ الْكِتَابِ لاَ تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ وَلاَ تَقُولُواْ عَلَى اللَّهِ إِلاَّ الْحَقَّ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ فَآمِنُواْ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً﴾ (النساء.الآية:171)

د– (ما جاءنا بشير ولا نذير):

إذ يقول تعالى: ﴿يا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِّنَ الرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلاَ نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (المائدة .الآية:19)

هـ– الله يفضل أناس لا قيمة لهم:

إذ يقول سبحانه: ﴿وكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَؤُلاء مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ (الأنعام.الآية:53)

و– أنزل الكتاب على غيرنا:

إذ يقول سبحانه: ﴿أن تَقُولُواْ إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَى طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَافِلِينَ﴾ (الأنعام.الآية:156)، ويقول تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُواْ لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَى مِنْهُمْ فَقَدْ جَاءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ (الأنعام.الآية:157)

ز– القول الساخر:

هو عبارة عن أسئلة وطلبات وأوصاف يقصد من ورائها السخرية من دين الله تعالى، ومن ذلك ما جاء في الخطاب القرآني عن قولهم: ﴿هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ﴾ (الشعراء.الآية:203)، و﴿رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ﴾ (القصص.الآية:47)، و﴿وإِنْ يَرَوْا كسفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَرْكُومٌ﴾ (الطور.الآية:44)، و﴿وإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌّ﴾ (القمر.الآية:2) و﴿وإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَا أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُواْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ﴾ (النحل.الآية:24)

2–عن النبي محمد والرسل:

اشتهر القرشيون والكفار والمشركون في رفض دين الله بشتم نبيه محمد صلى الله وسلم واتهامه جزافا بألفاظ تنزل من قيمته في رأيهم حتى لا يتبعه أحد من الناس وكذلك الأمر بالنسبة للأقوام الرافضين

رسالاتِ الله تعالى، فوصفوا أنبياءهم بالسوء والكذب والكهانة والسحر والشعر والتخريف وما إلى ذلك، وأبرز تلك الألفاظ ما يأتي:

أ- (معلم مجنون):

يقول تعالى: ﴿ثمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ﴾ (الدخان.14)

ب- (ساحر):

إذ يقول تعالى: ﴿قالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ﴾ (الأعراف.الآية:9)

ج- (كاهن) و(مجنون):

يقول تعالى: ﴿فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلا مَجْنُونٍ﴾ (الطور.الآية:29)

د- (آذتْهُ الآلهة):

يقول تعالى:﴿إِنْ نَّقُولُ إِلاَّ اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾(هود.الآية:54)

هـ-(شاعر):

يقول تعالى:﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ﴾ (الطور.الآية:30)

و-(كذّاب):

يقول تعالى: ﴿أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ﴾ (القمر.الآية:26)

ز- (تقوَّلَهُ):

يقول تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لّا يُؤْمِنُونَ﴾ (الطور.الآية:31)

ح- (كلامه غير مفهوم):

يقول تعالى: ﴿قالُواْ يَا شُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا﴾ (هود.الآية:91)

3-إهانة الوالدين:

إذ يقول تعالى: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُواْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا **أُفٍّ** وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا﴾ (الإسراء.الآية:23)

4-الكذب والنفاق:

إذ يقول تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف.الآية:3) ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَع لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ العَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (المنافقون.الآية:4)، ويقول سبحانه: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلاَلٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُواْ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ (النحل.الآية:116)

5–الحكم الخاطئ:

كأن يوصف الشهداء بالقتلى والموتى، يقول الله تعالى: ﴿وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة.الآية:154)

6–الاتهام:

إذ يقول الله تعالى: ﴿لاَ تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلاَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (النساء.الآية:94)

7–الكلمة الخبيثة:

إذ يقول تعالى: ﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِن فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِن قَرَارٍ﴾ (إبراهيم.الآية:26)

المطلب الرابع: أبرز محاسن اللسان في الخطاب القرآني:

إن للخطاب القرآني دعوةً للسان الإنساني بأنْ يأخذ محاسن الألفاظ، الفيّاضة بالمعاني والدلالات النفسية الإيجابية، تعبر عن صفاء قلبِه، ورجاحة عقله، فبتهذيب اللسان يكون الرقيّ إلى المدارج الإنسانية الفاضلة.

ولهذا كانت دعوة الخطاب القرآني إلى ضبط اللسان بالقول السديد، والكلمة الطيبة، حتى يصلح عمل الإنسان وتتهذب نفسه ويرقى سلوكه وتتزكّى نفسه.

أولا: ضبط اللسان بالقول السديد

تكمن أهمية ضبط اللسان في الخطاب القرآني، في ضرورة اختيار اللفظ الجيد والمناسب للمقام، والخالي من الفحش والبذاءة والكراهة، ومن ذلك أنْ نهى الله تعالى المؤمنين عن التلفظ بكلمة "راعنا"، يقول سبحانه: "يا أيها الذين آمنوا لا تقولوا راعنا وقولوا انظرنا واسمعوا وللكافرين عذاب أليم"، ذلك أن المسلمين كانوا يقولون: راعنا يا رسول الله، من المراعاة أي أرعنا سمعا؛ أي أفرغ سمعك لكلامنا، يقال: أرعى إلى الشيء، ورعاه، وراعاه؛ أي أصغى إليه واستمع، وكانت هذه اللفظة قبيحة في لغة اليهود، وقيل: كان معناها عندهم: اسمع لا سمعت[24].

وقيل: هي من الرعونة إذا أرادوا أن يستهزئوا بإنسان قالوا له: راعنا؛ بمعنى يا أحمق! فلما سمع اليهود هذه اللفظة من المسلمين قالوا فيما بينهم: كنا نسب محمدا سرّا، فأعلنوا به الآن، فكانوا يأتونه، ويقولون: راعنا يا محمد، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ ففطن لها، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود :لئن سمعتها من أحدكم يقولها لرسول صلى الله عليه وسلم لأضربن عنقه، فقالوا: أَوَلَسْتُمْ تقولونها؟ فأنزل الله تعالى: "لا تقولوا راعنا"، كيلا يجد اليهود بذلك سبيلا إلى شتم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقولوا

"انظرنا"؛ أي انظر إلينا، وقيل: انتظرنا وتأن بنا، يقال: نظرت فلانا وانتظرته، ومنه قول الله سبحانه وتعالى: ﴿انظرونا نقتبس من نوركم﴾ (الحديد.الآية13)[25]

إن اللسان هو وسيلة التفاهم بين الناس، وسبيل التعبير عن الأفكار، وهو أسمى وسائل التفاهم، ونقل المعارف، لأنّه لا يقتصر على التخاطب بين الحاضرين وإنما يمتد فضله وأثره إلى الغائبين، ويعتبر أفضل طريق لاتصال البشرية مع بعضها بين القديم والحديث، وبين الحاضر والمستقبل، به تدوين المعارف، وصناعة الحضارة وتحقيق التواصل بين الأجيال.

ثانيا: الدلالات النفسية الإيجابية للألفاظ في القرآن الكريم

دعا الخطاب القرآني إلى انتقاء الكلمات التي تحمل دلالات نفسية إيجابية من أجل الاستعمال اللغوي والتعامل مع الناس على اختلاف توجهاتهم، وأهم هذه الدلالات ما يأتي:

1–الكلمة الطيبة:

يدعو الخطاب القرآني إلى التلفظ بالكلمة الطيب مع الناس جميعهم مع كان الاختلاف، إذ يحرص المؤمن على أن يكون لسانه طاهرا نظيفا، في الأحوال كلها، يقول تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاء. تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم.الآية:24)

2–ألفاظ التحية:

أمر الله عز وجل المسلمين بأن يحيوا بتحية الإسلام، وهي قولهم: السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته، وتدل التحية بلفظ السلام على إعطاء المتلقي الأمان وجعله يحس بالطمأنينة، وفي هذا يقول تعالى:﴿وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ﴾ (يونس.الآية:10) ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّواْ بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَ﴾ (النساء.الآية:86).

3–تصحيح اللفظ:

يأمر الله تعالى عباده المؤمنين بتصحيح ألفاظهم، حتى تكون مناسبة للسياق العام الدال على حسن القول، يقول الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ انظُرْنَا﴾ (البقرة.الآية:104)

4– الكلام الحسن:

يدعو الله تعالى في الخطاب القرآني إلى اختيار الكلام الحسن من أجل خير الإنسان وتحسين علاقته بالناس، ومن ذلك قوله سبحانه: ﴿يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا﴾ (الأحزاب.70) وقوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلا سَدِيدًا. يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾

(الأحزاب.الآية:70–71)، وقوله: ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (البقرة.الآية:83)، وقوله: ﴿وَقُل لِعِبَادِي يَقُولُوا التِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنْزَغُ بَيْنَهُم إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلإِنْسَانِ عَدُوًّا مُبِينًا﴾ (الإسراء.الآية:53). ويوجهنا الخطاب القرآني إلى القول المعروف مع الأهل والوالدين والأقربين واليتامى والناس أجمعين، يقول الله تعالى: ﴿وَلَكِن لاَّ تُوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلاَّ أَن تَقُولُواْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ (البقرة.الآية:235)، ويقول سبحانه: ﴿لاَ تُؤْتُواْ السُّفَهَاء أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾(النساء.الآية:5)، ويقول سبحانه: ﴿وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُوْلُواْ الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينُ فَارْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ (النساء.الآية:8)، ويقول عز وجل:﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا. واخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ (الإسراء.الآية:23)

الخاتمة:

إن الدلالة النفسية هي أحد أهم المعاني التي تصحب عملية الكلام، وأنواع المعاني خمسة هي المعنى الأساسي (المركزي) والإضافي والأسلوبي والنفسي والإيحائي.

والنفس هي جوهر قائم بنفسه متعلقة بالجسم، تعلق التدبير، والتصريف، ولو وجدت ولا تعلق لها بالجسم لم تكن نفساً بل كانت عقلا، إذ إن وجود النفس مستلزم لوجود الجسم.

ويبين الخطاب القرآن أن الإنسان تتبين حاله الجيدة أو السيئة بتعبيره اللفظي أو غير اللفظي، ففي التعبير اللفظي الجيد نجد الكلمة الطيبة والقول السديد الدال على الإيمان بالله، وأما التعبير اللفظي السلبي ففيه الألفاظ الدالة على الكفر والشك والسخرية من الخالق سبحانه ومن أنبيائه ودينه، وإهانة الوالدين، والكذب والنفاق وإطلاق الأحكام العشوائية على الآخرين، والكلمة الخبيثة.

إن التعبير اللغوي هو أسمى أنواع التعبير، وأوضحها في الدلالة على المراد وأيسرها على المعبّرين، وهو الأصل في الإبانة والكشف، وبه تتفاوت الدلالات في القوة والضعف، والغموض والوضوح، وبه تظهر الميزة بين قول وقول، ومعنى ومعنى، وهو أقدرها على تصوير المعاني الدقيقة ونقلها إلى السامعين.. وهو الذي يميّز الإنسان بأسلوبه الراقي عن سواه من الكائنات التي لها القدرة على أن تطلق أصواتا.

ومن أبرز النتائج التي توصلنا إليها في هذا المقال ما يأتي:

– الدلالة النفسية للألفاظ المستعملة، إما إيجابية تمنح الطاقة للإنسان ويصلح بها عمله وعلاقاته في حياته الأسرية والاجتماعية وفي عمله، وإما سلبية تحطّم نفسيته، وتشعره بالقلق والضَّنَكِ والاضطراب.

– لا يوجد ترادف بين الكلمات المتقاربة، وإنما كل كلمة تحمل معناها من خلال السياق الذي ترِدُ فيه، فحتى الكلمات الطيبة ينبغي لها أن تستعمل بالطريقة المناسبة والمكان والزمان المناسبين، فمثلا، لا نذكر الله جهرًا في الأماكن النجسة، بالرغم من أنّ ذكر الله هو أرقى الكلام الإنساني.

– يدعو الخطاب القرآني إلى الكلام السديد والطيب لإصلاح النفس وعلاقات الإنسان بغيره.

– إن للألفاظ تأثيرًا سحريا في النفوس، فربّ كلمة طيبة صنعت نجاح الإنسان، وربّ كلمة سيئة خبيثة أفسدت حياته.

– وضع الألفاظ في سياقها المناسب، يؤثر إيجابا في نفس متلقّيها.

ومن أهم مقترحاتنا لضبط اللسان الاجتماعي ما يأتي:

– كتابة عبارات تدعو إلى الكلام الحسن وحفظ اللسان، تكتب على لافتات، وتنشر في المدارس والجامعات والشوارع، نحو: (لسانك حصانك)، (احفظ لسانك)، (الكلمة الطيبة صدقة) ...

– عمل برامج تلفزيونية وإذاعية تربوية هادفة، تشجع على استقامة اللسان.

– عمل برامج الكترونية وألعاب، توظف الكلمات الحسنة والتحية الطيبة الآلية بين المستخدمين.

قائمة المصادر والمراجع:

1) الآلوسي أبو الثناء: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار الفكر، بيروت، لبنان د.ت

2) البغوي ابن مسعود: معالم التنزيل. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض. السعودية، 1987م

3) الجرجاني الشريف علي: التعريفات. مكتبة لبنان، بيروت، 1978م

4) جني، ابن جني أبو الفتح عثمان: الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. ط:4، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1999م

5) حجر، ابن حجر العسقلاني: فتح البارى شرح صحيح البخارى. تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرون. ط:2، طبعة دار الريان للتراث، القاهرة. 1987م

6) خرما نايف: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. ط:2، سلسلة عالم المعرفة الكويت، 1979م

7) الراجحي عبده: فقه اللغة في الكتب العربية. دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1990م

8) طالب، علي بن أبي طالب: نهج البلاغة. شرح: محمد عبده. مطبعة كرم. دمشق، د.ت

9) الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن. ط:4، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 2005م

10) ظاظا، حسن: اللسان الإنسان. ط:2، دار القلم، دمشق، 1990م

11) عبد التواب رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ط:3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م

12) الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين. ط:1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م

13) فندريس: اللغة. ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص. مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1950م

14) الفيروز آبادي مجد الدين: القاموس المحيط. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405هـ

15) الفيومي أحمد بن محمد: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية، بيروت، 1987م

16) الكليني محمد بن يعقوب بن إسحاق: الكافي. تحقيق: علي أكبر الغفاري. ط:5، دار الكتب الإسلامية، طهران إيران، 1363هـ

17) المجلسي محمد باقر: بحار الأنوار. ط:3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1983م

18) مذكور إبراهيم: الفكر واللغة. مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية، القاهرة، 1957م

19) منصور أحمد: علم اللغة. ط:1، عمادة شؤون المكتبات الرياض، 1982م

20) منظور، ابن منظور جمال الدين الأنصاري: لسان العرب. طبعة دار الجيل ودار لسان العرب بيروت، مجلد:2، 1988م

الهوامش:

1- الفيومي: المصباح المنير في غريب الشرح الكبير. المكتبة العلمية، بيروت، 1987م،ج:2، ص617

2- الفيروز آبادي: القاموس المحيط. تحقيق: إبراهيم الأبياري. ط:1، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1405ه، ج:1.ص745

3- ابن منظور: لسان العرب. طبعة دار الجيل ودار لسان العرب بيروت، مجلد:2، 1988م ج:6، ص233

4- الغزالي أبو حامد: إحياء علوم الدين. ط:1، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2012م، ج:3، ص5

5- الجرجاني الشريف علي: التعريفات. مكتبة لبنان، بيروت، 1978م. ص132

6- ابن حجر العسقلاني: فتح البارى شرح صحيح البخارى. تحقيق: محب الدين الخطيب وآخرون. ط:2، طبعة دار الريان للتراث، القاهرة. 1987م، ج:8، ص305

7- الآلوسي: روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني. دار الفكر، بيروت، لبنان د.ت، ج: 17، ص46

8- عبد التواب رمضان: المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي. ط:3، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1997م، ص137

9-المرجع نفسه، ص140

10- فندريس: اللغة. ترجمة: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص. مكتبة الأنجلو المصرية، مصر، 1950م، ص183

11- ظاظا، حسن: اللسان الإنسان. ط:2، دار القلم، دمشق، 1990م، ص68

12-المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

13- ابن جني: الخصائص. تحقيق: محمد علي النجار. ط:4، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة، 1999م، ج:1، ص383

14- الراجحي عبده: فقه اللغة في الكتب العربية. دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، 1990م، ص72

15- منصور أحمد: علم اللغة. ط:1، عمادة شؤون المكتبات الرياض، 1982م، ص15

16- مذكور إبراهيم: الفكر واللغة. مجلة مجمع فؤاد الأول للغة العربية، القاهرة، 1957م، مج:9، ص11

17- خرما نايف: أضواء على الدراسات اللغوية المعاصرة. ط:2، سلسلة عالم المعرفة الكويت، 1979م، ص215

18-خرما نايف: المرجع السابق، ص216

19- المجلسي محمد باقر: بحار الأنوار. ط:3، دار إحياء التراث العربي، بيروت، 1983م، ج:68، ص287

20- ابن أبي طالب علي: نهج البلاغة. شرح: محمد عبده. مطبعة كرم. دمشق، د.ت، ص392

21- الطبرسي: مجمع البيان في تفسير القرآن. ط:4، دار العلوم للتحقيق والطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان 2005م، ج:10، ص494

22-المجلسي: المرجع السابق، ص141

23- الكليني محمد بن يعقوب بن إسحاق: الكافي. تحقيق: علي أكبر الغفاري. ط:5، دار الكتب الإسلامية، طهران إيران، 1363ه، ج:8، ص20

24- البغوي ابن مسعود: معالم التنزيل. دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض. السعودية، 1987م، ج:1، ص:132

25-المرجع نفسه، ص133